جدلية المبنى والمعنى في التوقيعات العباسية

The dialectic of form and meaning in Abbasid signatures

الدكتور/ قوراري السعيد

قسم اللغة والأدب العربي-جامعة أم البواقي- (الجزائر)
gourarisaid04@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2025/04/10 تاريخ القبول: 2025/09/07 تاريخ النشر: 2025/09/15

ملخص:

اتسعت أفاق الفكر والثقافة في العصر العباسي ونشطت حركه الترجمة والتأليف وامتدت في كل شيء يمكن أن يخطر على البال، فتطورت الكتابة في ذلك العصر أدت إلى ظهور جنس جديد في الأدب العربي أطلق عليه "التوقيع"، فهذا النوع كان موجودا في العصر الإسلامي والعصر الأموي لكنه ازدهر أكثر في العصر العباسي، وأنشئ له ديوان خاص سمي بديوان التوقيعات وعُيِّن كبار الكتاب والأدباء والبارعون. وقد جرت عادة الملوك والولاة من الفرس أن يوقعوا على القصص بعبارة بليغة، أو حكمه حكيمة، يتخير لها أحسن اللفظ وأجود المعنى.

الكلمات المفتاحية: الثقافة ؛ التوقيع ؛ العصر العباسي؛ الديوان؛ الملوك.

Abstract:

The horizons of thought and culture expanded in the Abbasid era, and the movement of translation and writing became active and expanded in everything that could come to mind. Writing developed in that era led to the emergence of a new genre Arabic literature called “signature.” This genre was present in the Islamic era and the Umayyad era, but it He flourished more during the Abbasid era, and a special diwan was established for him, called the Diwan of Signatures, and senior writers, authors, and adepts in were appointed. It was customary for Persian kings and rulers to sign stories with a figurative phrase, or wise wisdom,for which the best pronunciation and the finest meaning were chosen.

***key words**:* culture; signature; Abbasid era; the Diwan; kings.

1.مقدمة:

يذهب كثير من الباحثين أن فن التوقيعات في الأصل فارسي النشأة لا علاقة العرب به قبل اتصالهم بحضارة الفرس في العصر العباسي، فهذا الفن حسبهم قد انتقل إلى العرب وهذا بعد تحضرهم وانتشار الكتابة بينهم، وحجة الباحثين في ذلك، ما ذكره الرواة من توقيعات ملك الفرس كسرى أنو شروان، كما أن الكتابة هي وسيلة هذا الفن، وهي ليست متاحة بين العرب يومها، ولا يستبعد أن يكون هذا الفن مشتركا بين الشعوب والأمم، وقد عرفه العرب واستخدموه، وانتشر انتشارا كبيرا، وترسخت معرفتهم به بعد شيوع وذيوع انتشار الكتابة بشكل أوسع أثناء الحضارة العربية الإسلامية وقت الدولة العباسية، فكل ما يمكن قوله على العصر العباسي أنه عصر سيطر فيه العنصر الفارسي على الدولة، فأكثر الوزراء والكتاب فارسيون، وقد نقلوا كل ما عرفوه من حضارة أمتهم إلى ما وجدوه من حضارتهم العربية الإسلامية التي صاروا جزءا لا يتجزأ منه، وعليه فإننا نجدهم قد بالغوا كثيرا في الاهتمام بفن التوقيعات واستخدموه في مكاتبهم بكثرة، ولم يكتفوا بذلك بل انشأوا لها ديوانا خاصا، عرف بديوان التوقيع. كما أن فن التوقيعات الأدبية لم ينل حظه من الانتشار و الذيوع إلا في العصر العباسي، فقط لأن الكتابة الفنية نجدها قد ذاعت وشاعت وانتشرت وتعددت أغراضها وأساليبها، فهذا هو العصر الذهبي الذي تطورت وازدهرت فيه التوقيعات، كما أنشئ لها ديوان خاص، وعيّن فيه كبار الكتاب والأدباء المبدعون البارعون.

يمكن القول إن دعم الخلفاء والوزراء والرؤساء للأدب والكتّاب كان عاملاً رئيسًا في تطور فن الكتابة وارتقائه، مما أسهم في تعزيز مكانته ورفع مستواه الفني. وقد أدى هذا التشجيع إلى نشوء منافسة حادة بين الأدباء، حيث سعوا إلى كسب رضا الخلفاء والرؤساء، الأمر الذي أسهم في تحسين جودة الكتابة وتطوير أساليبها.

علاوة على ذلك، برز فن التوقيع منذ صدر الإسلام، ثم شهد تطورًا في العصر الأموي، وبلغ ذروته في العصر العباسي، الذي يُعرف بالعصر الذهبي للحضارة الإسلامية. خلال هذه الحقبة، كانت السلطة بيد الخلفاء العباسيين، وبرز فيها العديد من أعلام الفكر والعلم، مثل الكندي والجاحظ. كما شهدت هذه الفترة بروز شخصيات بارزة في السياسة والمذاهب الفكرية، من بينهم الخليفة المأمون.

.فيم تمثلت موضوعات التوقيعات في العصر العباسي؟ بم تميزت؟ ما هي أبرز صورها؟ من هم أشهر روادها؟.

2.تعريف التوقيعات:

أ-لغة:

جاء في لسان العرب أن توقيع الكاتب في الكتاب المكتوب بمعنى أن يحمل بين سطوره مقاصد الحاجة، ويحذف الفضول، وقد أخذ هذا من توقيع الدبر بين ظهر البعير، فكان الذي يوقع في الكتاب له تأثير في الأمر الذي كتب الكتاب فيه وما يؤكده ويوحيه[1]. وأيضا " التوقيع رمي لا تباعده، كأنك تريد أن توقعه على شيء.[2] والتوقيع في الكتاب هو الحاق الشيء فيه بعد الفراغ منه[3].

وأورد "الخليل بن أحمد الفراهيدي" في كتاب العين:

و"الوقع، وقعة الضرب بالشيء، ووقع المطر، ووقع حوافر الدابة بمعنى ما يسمع من وقعه، ويقال للطير إذا كان على أرض أو شجر: هن وقوع ووقع، أما الميقعة فهو المكان الذي يقع عليه الطائر ويقال كذلك: وقعت الدواب والإبل ومعنى ذلك ربضت وهذا تشبيها بوقوع الطير. على غرار الواقعة التي هي النازلة الشديدة، و فلان وقعة في الناس، ووقاع فيهم، ووقائع العرب: أيامهم التي كانت فيهم حروبهم.[4]

وأيضا "التوقيع سجح بأطراف عظام الدابة عند الركوب ربما تحاص عنه الشعر".[5]

أما "ابن فارس" في معجم مقاييس اللغة: فيرى أن التوقيع هو وقع الغيث: وهذا إذا سقط متفرقا، وهو أثر الدبر في ظهر البعير، والتوقيع ما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه.[6]

بينما نجد محمد مرتضى يرى أن التوقيع هو كل ما يوقع في الكتاب، وهو إلحاق شيء بعد الفراغ منه بمن رفع إليه، كالسلطان والأمير ونحوهما من ولاة الأمر، كما إذا رفعت إلى السلطان أو الوالي شكاة، فيكتب تحت الكتاب أو على ظهره: ينظر في أمر هذا أو يستوفى لهذا حقه[7]

والتوقيع أيضا: "نوع من السير شبه التلقيف، وهو رفعه يده إلى فوق".[8]

وكذلك التوقيع كما أورده: "حماد الجوهري" في معجم الصحاح: "الدّبر، وإذا كثر بالبعير قيل: انه لموقع الظهر"(أسد ابن الأعرابي):

مثل الحمار الموقع الظهر لا **** يحسن مشيا إلا إذا ضربا

ويقال: "السرور توقيع جائز وطريق موقع أي مذلل، ويقال موقع للذي أصابته البلايا".[9]

ب- اصطلاحا:

عرّفه القلقشندي بأنه الكتابة على الرقاع والقصص التي تتعلق بأمور الولايات وإدارة المملكة، بما يشمل القرارات الخاصة بالمظالم وشؤون الحكم. وقد كان الخلفاء في بداية الأمر يتولون التوقيع بأنفسهم، إذ كان ذلك وسيلة للإقرار أو الرفض، ولتعيين الولاة وعزلهم، إلى جانب غيرها من المسائل ذات الأهمية.[10]

أما ابن خلدون، فيرى أن التوقيع يعدّ جزءًا من خطط الكتابة، حيث يجلس الكاتب بين يدي السلطان ليوقّع على القضايا المرفوعة إليه، ويصدر بشأنها أحكامًا موجزة وبليغة. وقد يتبع الكتّاب هذه الصياغة النموذجية في سجلات رسمية تُسلَّم إلى أصحاب القضايا. ومن هنا، يحتاج الموقع إلى مهارة بلاغية دقيقة لضمان فصاحة توقيعه[11].

ويرى شوقي ضيف أن التوقيعات تتميز بالإيجاز والبلاغة، حيث كانت تستخدمها ملوك الفرس ووزراؤهم للرد على شكاوى الرعية، ثم انتقل هذا الأسلوب إلى خلفاء بني العباس ووزرائهم، وأصبحت التوقيعات منتشرة بين الناس، يحفظها الكتّاب ويطلقون عليها اسم "الرقاع"، نظرًا لشبهها برقاع الثياب[12].

أما محمد نبيه حجاب، فيعد التوقيعات تعليقات تُكتب على الرسائل الواردة إلى الديوان، بحيث تتناسب مع مضمونها، وغالبًا ما تتضمن تعليلًا موجزًا من خلال الاستشهاد بآية قرآنية أو حكمة سائرة أو عبارة محكمة، ما يجعلها نموذجًا فنيًا بالغ الدقة والبلاغة[13]

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن: التوقيع عبارة قصيرة تكتب من طرف الرؤساء أو الوزراء أو الخلفاء...، وقد يكون في الغالب أيه قرآنية، أو حديثا نبويا، أو بيتا شعريا، أو حكمة أو مثلا.

3.التوقيعات في العصر العباسي:

بلغت التوقيعات في العصر العباسي ذروة تطورها وازدهارها، بالتوازي مع تطور الكتابة الفنية، حيث تنوعت أغراضها واتسعت مجالات استخدامها. في العصر العباسي الأول، كان الخلفاء أنفسهم يوقعون على الرسائل والمراسلات الصادرة عنهم، بينما شهد العصران العباسي الثاني والثالث انتقال مهمة التوقيع إلى عدد من الكتاب والوزراء البارزين، الذين برعوا في صياغتها بأسلوب بليغ وموجز[14]

وفي سياق التنظيم الإداري، أنشأ العباسيون ديوان التوقيعات، وأسندوا مهامه إلى نخبة من الأدباء والكتاب المعروفين بفصاحتهم ودرايتهم بالأحكام والتشريعات، بالإضافة إلى مهارتهم في معالجة القضايا بأسلوب يجمع بين الدقة والبلاغة. وقد أشار ابن خلدون إلى أهمية اختيار أصحاب هذه المهمة بعناية، حيث قال" :واعلم أن صاحب هذه الخطة لابد أن يتخير من أروع طبقات الناس، وأهل المروءة والحشمة منهم وزيادة العلم وعارضة البلاغة، فإنه معرض للنظر في أصول العلم ويعرض في مجالس الملوك ومقاصد أحكامهم، مع ما تدعو إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل، مع ما يضطر إليه في الترسيل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها" [15]

أما من حيث الأنواع والأشكال، فقد تميزت التوقيعات العباسية بتنوعها وإيجازها البليغ. ويورد **صاحب** يتيمة الدهر بعض النماذج، منها توقيع الصاحب بن عياد في قضية رفعها إليه أحدهم

يشكو دخول أعدائه داره واستراقهم السمع، فكتب" :دارنا هذه خان، يدخلها من وفى ومن خان ." كما وقع على رسالة اشتكى فيها صاحبها من سرقة ألفاظه وأساليبه بعبارة موجزة ذات دلالة قوية..[16]

ومن التوقيعات البارزة ما كتبه الفيض بن أبي صالح في رقعة اعتذار" :التوبة للذنب كالدواء للمريض، فإن صحت توبته أتم الله شفاءه، وإن تكن الأخرى أدام الله داءه ."وكذلك ما جاء عن الفضل بن سهل، حيث كان من أجمل توقيعاته" :الأمور باتهامها، والأعمال بخواتيمها، والصنائع باستدامتها ."وعندما رفع إليه أحدهم طلبًا يتوسل فيه بأفضاله السابقة، أجابه بتوقيع بليغ: "مرحبًا بمن توسل إلينا بنا ."

كما اشتهر محمد بن يزداد بتوقيعاته البارعة، ومنها قوله" :أبواب الملوك معادن الحاجات ومواطن الطلبات، وليس لاستنجاحها واستنجازها كالصبر والملازمة والمراوحة ."ومن توقيعاته الأخرى" :ما استحالت لي فيك نية، ولا تغيرت عقيدة، فكيف أخلف وعدك، وأحلل عقدك، وأنقض عهدك، وأنسى رفدك." [17]

يتضح من هذه الأمثلة أن التوقيعات في العصر العباسي لم تكن مجرد ردود رسمية، بل ارتقت إلى مستوى الإبداع الأدبي، حيث جمعت بين الحكمة، والبلاغة، والإيجاز، ما جعلها من أبرز فنون الكتابة في ذلك العصر.

وبعد حديثنا عن مراحل و نشأة فن التوقيعات الأدبية نقول أن هذا الفن فن إسلامي خالص ظهر في العصر الإسلامي ومع الخلفاء الراشدين ونما وتطور مثل أي جنس أدبي بمرور الزمن مع العصر الأموي والعصر العباسي ووصل إلى قمة ازدهاره مع العباسيين، فقد استعملوه في مناصبهم السياسية المختلفة من خلفاء وحكام والوزراء وقواد، ويعود الفضل في ذلك إلى تطور الكتابة الأدبية.

بكل بساطة، لأن هذا الفن كتابي وليس شفويا، فقد تم استقاء هذا الفن من العديد من المصادر أغلبها مصادر عربية وإسلامية مثل: القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف الشعر العربي، الذي هو ديوان العرب، كما تميز هذا الفن ببلاغته القوية في كلامه وعمق معانيه، كما اشترط على مستعمل هذا الفن أن يكون على خبرة و دراية كبيرة بأسرار البلاغة العربية ومعرفة أحكامها.

4.بعض أعلام فن التوقيعات في العصر العباسي:

شهد العصر العباسي تطورًا ملحوظًا لفن التوقيعات، إذ بلغت هذه الكتابات الموجزة والمعبّرة ذروة ازدهارها بفضل براعة الخلفاء والوزراء في استخدام اللغة بأسلوب بليغ ومؤثر. وقد أسهمت التوقيعات في توجيه القرارات السياسية والإدارية، وعكست شخصية صاحبها وحكمته في معالجة

القضايا المختلفة. فيما يلي عرض لبعض أعلام هذا الفن الذين تركوا بصمة واضحة في تاريخ الأدب العباسي.

أ- أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي (132-136هـ/750-754م):

هو أول خلفاء بني العباس، وُلد في الحيمية[18] وبويع بالكوفة، وكان من أبرز قادة الدولة الذين عملوا على ترسيخ دعائمها. اشتهر بفصاحته وبلاغته، إذ قال" :إذا عظمت القدرة قلت الشهوة، وقل تبرع إلا مع حق، وما ضاع حق وراءه مطالب ."كما قال" :إن من أدنياء الناس ووضائعهم من عد البخل حزمًا، والحلم ذلًا، وإذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة والصبر حسن إلا على ما أوقع الدين وأوهن السلطان، والأنَاة محمودة إلا عند إمكان الفرصة" [19].

أسهم السفاح في تأسيس الدولة العباسية، وعمل على البحث عن عاصمة ملائمة لحكمه، كما واجه العديد من الثورات والاضطرابات الداخلية، خاصة في بلاد الشام وفلسطين والجزيرة[20] وقد أثبتت سياسته نجاحًا في إحكام سيطرة العباسيين وتحقيق الاستقرار.

ب- يحيى بن خالد البرمكي:

كان وزيرًا بارعًا في عهد هارون الرشيد، ومن أبرز رجال الدولة الذين جمعوا بين الحكمة والسياسة. ينتمي إلى أسرة البرامكة التي لعبت دورًا مهمًا في الإدارة العباسية. وقد اتسم يحيى برجاحة العقل وحسن التدبير، وكان يحمل تحت وسادته رقعة كُتب عليها: "وحق الله أن الظلم لؤم، وإن الظلم مرتعه وخيم، إلى ديّان يوم الدين نمضي، وعند الله تجتمع الخصوم" [21].

ومن توقيعاته البليغة قوله عند النظر في مظلمة" :الله للمظلوم ناصر ."كما كتب في قضية محبوس: "العدل أوثقه والتوبة تطلقه" [22] وتدل هذه العبارات على حسه العميق بالعدل وحرصه على الإنصاف في أمور الحكم

ج- الخليفة أبو جعفر المنصور (136-158هـ/754-775م):

يُعد المنصور من أعظم خلفاء بني العباس، إذ تميّز بالحزم وقوة الإرادة والإدارة الحكيمة للدولة. وُصف بأنه كان شديد الحرص على المال العام، يباشر أمور الحكم بنفسه، ويتسم بالحكمة والتدبير. قال عنه المؤرخون" :كان فحل بني العباس حزمًا وجبروتًا، جماعًا للمال، تاركًا للهو واللعب، كامل العقل، جيد المشاركة في العلم والأدب" [23]

كان المنصور دقيقًا في توجيهاته، ومن توقيعاته البليغة ما كتبه لعمر بن عبد الله بن علي: "لا تجعل للأيام في وفيك نصيبًا من حوادثها" [24] ، كما وقع لفقير طلب المساعدة بقوله" :سل الله من رزقه" [25] . وقد عُرف عنه حرصه على الاقتصاد في النفقات وحسن إدارة الموارد المالية للدولة.

د- الخليفة المهدي (127-169هـ/775-787م):

هو محمد بن المنصور[26]، وُلد في إيذج من كور الأهواز(إيران)، وعُرف بجوده وكرمه، وحبه للعلم والأدب. تولى طبرستان في شبابه، وتأدب وجالس العلماء حتى تميز في الفكر والإدارة. وبعد وفاة والده، بويع بالخلافة في بغداد[27]، وسار على نهج والده في الحزم والإصلاح.

تميز المهدي بحرصه على إقامة العدل، وكان يجلس مع القضاة للنظر في المظالم، واهتم بالمشروعات الإصلاحية التي أفادت الرعية، مثل بناء المدارس والمستشفيات وتنظيم التجارة[28]. ومن توقيعاته البليغة ما قاله لشاعر بالغ في مديحه:" أصرفت في مديحك، فقصرنا في عطائك"[29]ويُظهر هذا التوقيع فهمه العميق لموازين الأمور وعدم ميله إلى المجاملات الزائفة.

هـ- الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ/786-809م):

يُعد هارون الرشيد من أشهر خلفاء بني العباس، وقد اشتهر بعدله وعلمه وحكمته. كان محبًا للعلم، يقرب العلماء والفقهاء، ويصطحب معه مائة فقيه عند الحج.[30] كان ورعًا، يصلي مائة ركعة يوميًا، ويتصدق بألف درهم من ماله الخاص كل يوم.

ورغم صورته التي تُصوِّره أحيانًا كخليفة مترف، إلا أنه كان قائدًا عسكريًا بارعًا، قاد الغزوات بنفسه، وكان يحج عامًا ويغزو عامًا[31]. يُقال إن والده لقّبه بـ"الرشيد" بعد إحدى الغزوات ضد الروم حين حقق انتصارًا كبيرًا[32].

ومن توقيعاته المؤثرة قوله" :داوِ جرحك لا يتسع "33. كما وقع في قضية البرامكة بعبارة" :أنبتته الطاعة وحصدته المعصية"[34] وعندما خاطب يحيى بن خالد بعد نكبة البرامكة كتب" :عظيم ذنبك أمات خواطر العفو عنك."

يتضح مما سبق أن فن التوقيعات كان من أبرز الفنون النثرية التي ازدهرت في العصر العباسي، إذ استُخدمت بأسلوب موجز وبلاغي لنقل الرسائل الرسمية والتعبير عن الرأي السياسي والإداري. وقد برع فيه العديد من الخلفاء والوزراء، مثل أبي العباس السفاح، المنصور، المهدي، هارون الرشيد، ويحيى بن خالد البرمكي، إلى جانب شخصيات أخرى لم يُذكر منها إلا القليل، كـ الفضل بن سهل، أبو مسلم الخراساني، وطاهر بن الحسن. وقد أسهم هذا الفن في ترسيخ مكانة اللغة العربية كوسيلة راقية للتعبير عن الحكم والمواقف السياسية، وما زالت آثاره حاضرة في الأدب العربي حتى اليوم.

5.أنواع التوقيعات:

جاءت التوقيعات على صور مختلفة ومتنوعة، منها ما يكون على شكل آية قرآنية، أو بيت شعري، مثل أو حكمة.

1.5. قد يكون التوقيع آية قرآنية:

وهذا بشرط أن تكون الآية موافقة ومناسبة للقضية أو الشكوى المراد التوقيع فيها، على سبيل المثال نجد: توقيع "عمر بن عبد العزيز" إلى رجل ولاه الصدقات وكان ذميما فعدله أحسن"[35]

قوله تعالى: «ولا أقولُ للّذين تَزْدرِي أعينكُمْ لنْ يُؤتيهُمُ اللهُ خيرًا»[36] .

كما نجده وقع أيضا إلى عامله على الكوفة.[37] قوله تعالى:« أولئِكَ الذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهدَاهُمُ اقْتَدِهْ »[38].

كذلك توقيعه إلى عدي بن أرطأة[39]. قوله تعالى: « واتَّقوا يومًا تُرْجَعُونَ فيهِ إِلَى اللهِ»[40].

كما نجد توقيع أبي جعفر المنصور إلى قوم تظلموا من عاملهم[41]: « لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ »[42].

وتوقيعه في كتاب صارورة سأله أن يحج[43]: « وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ البَيْتِ مَنِ اْسَتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً»[44]

وإلى عبد الله بن علي عمه[45].وقع قوله تعالى: « ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»[46] .

وتوقيع "السفاح بن العباس": "في ناحية الكوفة في كتاب قوم غرقت ضياعهم"[47].«وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»[48] .

ووقع "المهدي "إلى صاحب أرمينية: يشكو سوء طاعة رعاياه[49].لقوله تعالى: « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ»[50].

كذلك توقيعه في قصة رجل حسب في دم[51]: « وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِي الاْأَلْبَابِ»[52]

كذلك توقيع "الفضل بن سهل" في قصة القوم الذين قطعوا الطريق:[53] « إِنَّمَا جَزَاءُ الّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعُونَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا »[54].

مما سبق نستنتج يمكن القول أن التوقيع بأية قرآنية من أفضل وأحسن طرائق الإقناع، يتخذها الخلفاء والولاة والوزراء فيما يتناسب مع قضاياهم وشكاويهم.

2.5. قد يكون التوقيع مثلا أو حكمة: من ضروب التوقيع كذلك ما نجده على شاكلة مثل أو حكمة، ونذكر على سبيل المثال:

توقيع "المأمون" إلى الرستمي في قصة من تظلم منها: "ليس من المروءة أن تكون أنيتك من ذهب وفضة، وغريمك خاوي وجارك طاو"[55]

وفي قصه متظلم من "عمرو بن مسعدة": "يا عمرو أعمر نعمتك بالعدل فان الجور يهدمها"[56]

كما نجد توقيع" زياد" إلى عامله بالكوفة: " أمط حدود عن ذوى المر وآت"[57] .

وفي قصة متظلم: " أنا معك"[58]، وفي قصة قوم رفعوا على عامل رفيعة:" من أماله الباطل قومه الحق".[59]

مثلما نجد كذلك توقيع "جعفر بن يحيى" في قصه محبوس: " لكل أجل كتاب"[60]

وفي مثله: " العدل يوبقه والتوبة تطلقه"[61]

وإلى بعض عماله: " قد كثر شاكوك وقل شاكروك، فإما عدلت وإما اعتزلت"[62]

نجد كذلك توقيع "الحسن بن سهل ذي الرياسيتين" في قصة متظلم ينظر فيما رفع: " فإن الحق منيع، وإلا فشفاء السقيم دواء السقم".[63]

كما نجد كذلك توقيع" مروان بن محمد" في جواب" نصر بن سيار" إذ كتب إليه:

أرى خلل الرماد وميض جمر **** ويوشك أن يكـون لـه ضرام[64]

كما نجد توقيع "طاهر بن الحسين" إلى "العباس بن موسى الهادي" واستبطأه في خراج ناحيته:

وليس أخو الحاجات من بات نائما**** ولكن أخوها من بيت على وجلٍ[65]

كذلك توقيع "عبد الملك بن مروان" في كتاب "ابن الأشعث "قوله:

فما بال من أسعى لأجبر عظمه **** حفاظا وينوي من سفاهته كسري[66]

ووقع أيضا في كتاب:

كيف يرجون سقاطي بعدما**** لاح في الرأس بياض وصلعٌ [67]

ووقع "المأمون"في كتاب "عبد الله بن طاهر" يشكو إليه بعده عن حضرته ويسأله في الإلمام بها فوقع في كتابه؛ "قربك يا أبا العباس حبيب وأنت من قلبي حيث كنت قريب وإنما بعدت دارك نظرا بك ورغبة إليك في قول الشاعر".

رأيت دنو الدار ليس بنافع**** إذا كان ما بين القلوب بعيد[68]

ونجد "ابن العميد "استنشد ابنه أبا الفتح وهو في الكتاب قصائد فلم يشتغل بها فعتابه من بين يده فبعد أيام كتب إلى أبيه يستعتبه فقال:

فحتى متى روح الرضا لا ينالني؟ ****وحتى مات ايام سخطك لا تمضي؟[69]

6.خاتمة:

كان للكتابة الفنية واتساعها وتعدد أغراضها فضل كبير جدا في ازدهار التوقيعات في العصر العباسي.

- فقد أضحى الكاتب البليغ مقصدا و مطلبا من مطالب الدولة. وكان من عادة ملوك وولاة الفرس التوقيع على القصص بعبارة موجزة بليغة، أو حكمة حكيمة، يختار وينتقي لها أحسن الألفاظ وأجود المعانى.

- تنقل آثارا من الآثار القيمة، كما يتناقل المثل الجيد، وفي هذ الشأن وجب علينا أن ننوه بما نقل إلى أدبنا العربي، فهناك توقيعات كثيرة جدا خاصة بملوك الفرس نقلت إلى أدبنا.

- اكتسب فن التوقيع في العصر العباسي على وجه الخصوص بعدا ثقافيا ومعنى أدبيا جماليا، ليغدو التوقيع ذلك القول البليغ الموجز، المعبر، الكافي، الشافي، الذي يكتبه مسؤول في الدولة، وهو اليوم شبيه بتوجيه المعاملات الرسمية. وقد تم نقل العديد من توقيعات الخلفاء الراشدين وبني أميَّة للعرب.

- وللعلم فإن تلك التوقيعات كانت في صورها الشفهية وبعد ذلك حولت إلى توقيع، والميزة الغالبة أن أكثر الكتاب و الوزراء هم من الفرس، فعلى نهج آبائهم ساروا فيها حتى أنشأوا ديوانا سمي "بديوان التوقيع".

- وقد أسهم هذا الفن في ترسيخ مكانة اللغة العربية كوسيلة راقية للتعبير عن الحكم والمواقف السياسية.

الهوامش والمراجع

[1] ينظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر ، بيروت، لبنان. ط4، 2005، مادة [وقع]، ص260.

[2] المصدر نفسه، ص261.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص262.

[4] ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، 1424هـ،2003م، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.ط1، 1424، 2003م، مادة [وقع]، ص392.

[5] المصدر نفسه، ص392.

[6] ينظر: ابن فارس أحمد بن زكريا أبو الحسن الرازي، مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1، 1971م، مادة [وقع]، ص642.

[7] ينظر: محمد مرتضى بن محمد الحسن الرازي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم وكريم سيد محمد المحمود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1، 1428هـ، 2007م، مادة [وقع]، ص192.

[8] المرجع نفسه، ص196.

[9] إسماعيل بن حماد الجوهري، معجم الصحاح، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان. ط3، 1429هـ، 2008م، مادة [وقع]، ص1155.

[10] شهاب الدين أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر. (د، ط)، 1922م، ص110-111.

[11] مسرت جمال، سمية عزيز، جمال فن التوقيعات المعنوي، مجلة الداعي، الجامعة الإسلامية، الهند، المجلد7، العدد 9، 1445هـ، 2024م، ص6.

[12] ينظر: شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، مصر. ط4، القاهرة، 1966م، ص489.

[13] ينظر: حجاب محمد نبيه، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة. ط2، م1986م، ص96.

[14] ينظر: المرجع نفسه. ص14

[15] صلاح عبد الستار محمد الشهاوي، التوقيعات الأدبية فن اسلامي خالص: http://darululoom-deoband.com/arabic/articles.

[16] حمد بن ناصر الدخيل، فن التوقيعات الأدبية في العصر الاسلامي والأموي والعباسي، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1427هـ، 2006م، ص14-15.

[17] عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي، خاص الخاص، دار الكتب العلمية، لبنان. ط1، 1981م، ص135-136.

[18] جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، بيروت، لبنان. ط1، 1424ه، 2003م، ص204.

[19] المصدر نفسه، ص205.

[20] أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والاندلسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر. (د، ط)، 1972م، ص 44.

[21] ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان، المجلد السادس، دار صادر، لبنان. (د، ط)، د، ت، ص219.

22 المرجع نفسه، ص96.

[23] السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص96.

[24] أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 65.

[25] محمود المصطفى، الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر. ط1، 1937م ، ص95.

[26] جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص216.

[27] المرجع نفسه، ص216.

[28] أحمد مختار العبادي، فن التاريخ العباسي الأندلسي، ص210.

[29] محمود مصطفى، الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي،ص95.

[30] جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تاريخ الخلفاء،ص225.

[31] المصدر نفسه، ص226.

[32] أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي الأندلسي، ص80.

[34] المرجع نفسه، ص 95-96.

[35] ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد،ج4، دار المدار الثقافية، لبنان. ط1،2009، ص201.

[36] سورة هود، الآية 31.

[38] سورة الأنعام، الآية 90.

[39] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص201.

[40] سورة البقرة، الآية 281.

[41] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص204.

[42] سورة البقرة، الآية 124.

[43] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص204.

[44] سورة آل عمران، الآية 97.

[45] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص211.

[46] سورة فصلت، الآية 24.

[47] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص204.
[48] سورة هود، الآية 44.
[49] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص205.
[50] سورة الأعراف، الآية 199.
[51] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص205.
[52] سورة البقرة، الآية 179.
[53] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص212.
[54] سورة المائدة، الآية 33.
[55] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص206.
[56] المرجع نفسه، ص 221.
[57] المرجع نفسه، ص 223.
[58] المرجع نفسه، ص 222.
[59] المرجع نفسه، ص 224.
[60] المرجع نفسه، ص 224
[61] المرجع نفسه، ص 225.
[62] المرجع نفسه، ص226.
[63] المرجع نفسه، ص204.
[64] المرجع نفسه، ص 203.
[65] المرجع نفسه، ص214.
[66] المرجع نفسه، ص200.
[67] سويد بن أبي كاهل الشكري، الديوان، تحقيق: شاكر عاشور، دار الطباعة الحديثة، العراق. ط1، العراق، 1972م، ص32.
[68] الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل، خاص الخاص، شرح وتعليق: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، لبنان. ط1، 1414ه، 1994م، ص 70.
[69] المرجع نفسه، ص 73.

قائمة المراجع:

1- أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والاندلسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر. (د، ط)، 1972م.
2- إسماعيل بن حماد الجوهري، معجم الصحاح، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان. ط3، 1429ه، 2008م.

3- الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل، خاص الخاص، شرح وتعليق: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، لبنان. ط1، 1414ه، 1994م.
4- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، بيروت، لبنان. ط1، 1424ه، 2003م.
4- حجاب محمد نبيه، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة. ط2، م1986م.
5- حمد بن ناصر الدخيل، فن التوقيعات الأدبية في العصر الاسلامي والأموي والعباسي، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1427ه، 2006م.
6- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان، المجلد السادس، دار صادر، لبنان. (د، ط)، د، ت.
7- الخليل بن أحمد الفراهيدي، 1424ه،2003م، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.ط1، 1424، 2003م.
8- محمد مرتضى بن محمد الحسن الرازي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم وكريم سيد محمد المحمود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1، 1428ه، 2007م،
9- محمود المصطفى، الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر. ط1، 1937م .
10- مسرت جمال، سمية عزيز، جمال فن التوقيعات المعنوي، مجلة الداعي، الجامعة الإسلامية، الهند، المجلد7، العدد 9، 1445ه، 2024م.
11- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر ، بيروت، لبنان. ط4، 2005.
12- سويد بن أبي كاهل الشكري، الديوان، تحقيق: شاكر عاشور، دار الطباعة الحديثة، العراق. ط1، العراق، 1972م.
13- شهاب الدين أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج1، دار الكتب المصرية،القاهرة، مصر. (د، ط)، 1922م.
14- شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، مصر. ط4، القاهرة، 1966م.
15- صلاح عبد الستار محمد الشهاوي، التوقيعات الأدبية فن اسلامي خالص: http://darululoom-deoband.com/arabic/articles.
16- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد،ج4، دار المدار الثقافية، لبنان. ط1،2009.
17- الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل، خاص الخاص، شرح وتعليق: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، لبنان. ط1، 1414ه، 1994م.
18- ابن فارس أحمد بن زكريا أبو الحسن الرازي، مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1، 1971م.